

الشواهد النحوية في شرح ألفية ابن مالك " الأشموني نموذجا "

Grammatical evidence in the explanation of Alfiyeh
Ibn Malik "Al-Ashmouni as a model"

الأستاذ: البدالي المترجي
جامعة مولاي السلطان

تاريخ النشر: 2021/02/28

تاريخ القبول: 2020/12/29

تاريخ الاستلام: 2020/12/20

ملخص:

هذه دراسة وصفية تحليلية في الشاهد النحوي عند الأشموني في شرحه لألفية ابن مالك الأندلسي في القرن السابع الهجري ، نظم ألف بيت في القواعد النحوية وسماها الألفية ، واجه هذا الكتاب إقبال النحاة عليه إقبالا واسعا ، فشرحوه لما له من أهمية كبيرة في القواعد النحوية وسلط الضوء فيها على الشاهد النحوي وعالجت الدراسة موضوع الشاهد النحوي من حيث تعريفه وأنواعه ، وتناولت الدراسة شخصية الأشموني وأهم ملامح هذه الشخصية ومنابعها الثقافية ، والمذهب النحوي الذي اتبعه في توجيه الشواهد ، ثم المنهج الذي سلكه في شرح شواهد الألفية ، وموقفه من الاستشهاد بهذه الشواهد ، في شرحه لألفية ابن مالك ، وموقفه من المذاهب النحوية وأراء العلماء في شرح الأشموني وقيمة شرح كتابه بين كتب النحو .

كلمات مفتاحية: الشاهد ؛ النحو؛ الألفية؛ ابن مالك ؛الأشموني .

Abstract

This is an analytical descriptive study in the grammatical evidence of al-Ashmouni in his commentary on the millennium ibn Malik al-Andalusi in the seventh century AH. He organized a

thousand verses in grammatical rules and called it the millennium. This book faced a wide turnout by grammarians, so they explained it because of its great importance in grammatical rules and highlighted it. On the grammatical witness, the study dealt with the grammatical witness issue in terms of its definition and types, and the study dealt with the personality of the Ashmonite and the most important features of this personality and its cultural sources, the grammatical doctrine he followed in directing evidence, then the approach he took in explaining the evidence of the millennium, and his position on citing these evidences, in his explanation of the Millennium Ibn Malik, and his position on the grammatical schools and opinions of scholars on the commentary of Ashmonite and the value of explaining his book among the books of grammar.

Keywords. Impact, jurisprudential rules, civilization, urbanization

1. مقدمة:

إن اللغة العربية في عهد الجاهلية ، وأول الإسلام ، ما كان لها قواعد وضوابط بشكل خاص ، وإنما كانوا يعتمدون على الفطرة والذوق ، السليم ، حينما جاء الإسلام ، واتسعت رقعة بلاد العرب ، وكثر اللحن فيما بينهم بسبب الاختلاط ، لذلك اهتم العلماء بحفظ اللغة العربية من التشتت والانحيار ، وحموها بحفظ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من الخطأ واللحن بوضع ضوابط وقواعد نحوية بسيرور عليها .

فقام أبو الأسود الدؤلي بوضع قواعد نحوية ولذلك قال الناظم¹:

أول من أفادنا النحو علي	سببه لحن حكاه الدؤلي
عن بنته التي نوت تعجبا	فاستفهمت برفع فعلها أبا
فقال قولي ما أشد الحرا	بالنصب في الدال الثقيل والرا

¹ - سيدي صالح بن عبد الله الالغي ، الحقائق المكلفة والدرة الالغية الطبعة : 1414 هـ - 1993 م ، ص

ثم بعد ذلك توالى المؤلفات النحوية نثرا ونظما ، وظهرت مدارس نحوية، كالمصرية والكوفية والبغدادية والأندلسية وفي النهاية المدرسة المصرية .
وفي القرن الثاني الهجري اشتغل العلماء بنظم القواعد النحوية، قصد التبسيط والتسهيل على طلابهم وعلى المخاطبين ، كأمثال سيبويه والمبرد والكسائي وغيرهم وسجل الشاهد النحوي حضورا في التقعيد اللغوي والنحوي على مدار العقود التاريخية التي استقرء العرب فيها لغتهم ، إذ هو أساس استنباط قواعدها والمعتمد للاحتجاج بها منذ بدأت الدراسات النحوية الأولى إبان ذلك القرن الثاني الهجري .

إلى أن جاء العالم الكبير النحوي هو جمال الدين في القرن السابع الهجري بنظم الألفية ، وكثر عليها الشراح مثل ابن عقيل ، وشرح ابن الناظم وشرح الخضري ، وشرح الأشموني .

- الدوافع :

وكان من الدوافع التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع ما يلي :
أني لا أعلم أحدا قد كتب فيه من قبل ، على هذا المنوال ، مما يعني أن الموضوع بكر لم تمسه الأقلام ، وحرى بمثله أن يقدم للبحث والدراسة .
أن الأشموني من العلماء المشهورين في الشاهد النحوي ، وظهور هذا في رأيه لابد أن يكون وراءه ما يستحق الكشف عنه ، وإمالة اللثام من كنهه وحقيقته .

سيقود هذا البحث إلى الوصول إلى مظاهر تطور فكر ابن مالك الأشموني في المسائل النحوية في الاستدلال بالشاهد النحوي .

- أهمية البحث:

وتأتي هذه الأهمية، في أن هذا الكتاب لقي اهتماما كبيرا من علماء العربية ، وذلك لما اشتمل عليه من آراء نحوية تفيد النحو ،

كما احتوى على قدر كبير من الشواهد النحوية التي استشهد بها الأشموني ، والتي كان لها أكبر الأثر في إثراء هذا الكتاب بالمادة العلمية ، كما جمع الكتاب المسائل النحوية مستعينا بآراء من سبقوه من العلماء ، كسيبويه وابن هشام وابن جني وابن عقيل وغيرهم كثير .

- طرح الإشكالية:

لأشك أن الباحث بحاجة ماسة إلى الاطلاع على الثرات الفكري العظيم المتمثل بالأدب واللغة العربية وغيرهما من مبادئ الثقافة والمعرفة لبحث هذا الموضوع ، وأن هذا الموضوع واسع النطاق ويحتاج الباحث إلى تحديد جوانبه للحصول على الحقائق ، فقد حدد الباحث بحثه في الشواهد النحوية من شره ألفية ابن مالك الأشموني نموذجاً .

وانطلاقاً من تحديد البحث السابق تمكن الباحث تقريره إلى الأسئلة الآتية:

من هو ابن مالك ؟

من هو الأشموني ؟

وما هو الشاهد في أصول النحو ؟

وكيف يكون الشاهد النحوي عند الأشموني ؟

- أهداف الدراسة :

يسعى الباحث من خلال هذه الدراسة للوقوف على بعض الأهداف التي يمكن أن تتحقق من خلال دراسة آراء الأشموني شارح الألفية في الشاهد النحوي، ومن هذه الأهداف ما يلي :

التحقق من استدلال الأشموني بالشاهد النحوي لرأي ابن مالك في الألفية وضبطه له في أي موضع من مواضعها .

حديد مواضع الاستشهاد في رأي ابن مالك وجمعها ، وتصنيفها ليسهل درسها والاطلاع عليها .

الكشف عن تطور فكر الأشموني في المسائل النحوية ، ومناقشتها بآراء العلماء المشهورين من قبل .

التعرف على مذهبه في الاستدلال بالشاهد النحوي ومنهجه في الاستدلال بذلك في شرحه لألفية ابن مالك
✍ خطة البحث :

وتسهيلا لكتابة هذا البحث قد تم التبويب كما يلي :
المقدمة : وتحتوي على أهمية الشاهد النحوي وأهدافه ، ومشكلة البحث ،
والدراسة السابقة ، وخطة البحث

المبحث الأول: يحتوي على حياة ابن مالك وكتابه الألفية
وعلى حياة الأشموني ، التعريف بمنهج السالك، إلى ألفية ابن مالك.
المبحث الثاني : تعريف الشاهد النحوي وأهميته
المبحث الثالث : مصادر الشاهد النحوي عند الأشموني .

- خاتمة
- قائمة المصادر والمراجع

2. المبحث الأول : يحتوي على حياة ابن مالك وكتابه الألفية،

والأشموني وكتابه

1.2 المطلب الأول :ترجمة ابن مالك

هو جمال الدين، أبو عبد الله، محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك،
الطائي نسبا، الشافعي مذهبا، الجياني منشأ.

ولد في جيان في الأندلس في سنة 600هـ، وقيل: سنة601هـ، وقيل: سنة
597هـ، وقيل: سنة 598هـ تلقى علومه الأولى في بلده، ثم انتقل، وهو شاب، إلى

دمشق، ثم ما لبث أن ترك المذهب المالكي الذي كان غالبا على الأندلسيين ليدخل المذهب الشافعي.

أخذ ابن مالك القراءات والنحو عن أبي رزين بن ثابت بن محمد بن يوسف الكلاعي، من أهل لبلة بالأندلس، وسمع من السخاوي، علي بن محمد النحوي المقرئ، وقرأ على أبي الفضل مكرم بن محمد بن أبي الصقر، ولزم في حلب حلقة ابن يعيش النحوي، كما جالس تلميذه ابن عمرون.

"وكان إماما في القراءات وعللها، وأما اللغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها، والاطلاع على وحشيتها. وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحرا لا يجارى، وحبرا لا يبارى. وأما أشعار العرب التي يستشهد بها على اللغة والنحو، فكانت الأئمة الأعلام يتحIRON فيه، ويتعجبون من أين يأتي بها. وكان نظم الشعر سهلا عليه: رجزه وطويله وبسيطه وغير ذلك، هذا مع ما هو عليه من الدين المتين، وصدق اللهجة، وكثرة النوافل، وحسن السمات، ورقة القلب، وكمال العقل، والوقار والتؤدة"²

2.2 المطلب الثاني : التعريف بألفية ابن مالك:

وضع ابن مالك أرجوزة طويلة تقارب أبياتها الثلاثة آلاف بيت من مزدوج الرجز، تضم النحو والصرف معا، ثم شرحها نثرا بكتاب سماه "الوفية"، ثم لخصها بكتاب سماه "الخلاصة"، الذي عرف بـ"الألفية" نسبة إلى عدد أبياته التي بلغت الألف بيت. وقد نهج ابن مالك فيها نهج نحوي قبله كان له فضل السبق في هذا المضمار هو ابن معط "توفي سنة وقد اعترف ابن مالك بهذا السبق ذاهبا إلى أن ألفتها أحسن من ألفية ابن معط، فقال:

وتقتضي رضا بغير سخط ... فائقة ألفية ابن معط

² - السيوطي بغية الوعاة لمحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم حالة الفهرسة: غير مفهرس الناشر: عيسى البابي الحلبي سنة النشر: 1384 / 1 130

وهو بسبق حائز تفضيلاً ... مستوجب ثنائي الجميلاً
والله يقضي بهبات وافره ... لي وله في درجات الآخرة
ونشير هنا إلى أن السيوطي بعده وضع ألفية وقال في أولها: "فائقة ألفية
ابن مالك"، كذلك جاء بعد السيوطي الأجهوري المالكي فوضع ألفية أخرى زاد فيها
على السيوطي، وقال في مقدمتها: "فائقة ألفية السيوطي".
وأبيات الألفية كلها من كامل الرجز، وتمتاز عباراتها بالركة والدقة والإيجاز
في صياغة الأحكام، ولذلك يسهل حفظها. ويظهر أن ابن مالك قد حرص على هذا
الأمر لأن غايته من ألفيته غاية تعليمية، وقد جعل أبواب النحو في القسم الأول
منها، وأبواب الصرف في قسمها الأخير.
وقد نالت ألفية ابن مالك من الشهرة ما لم تنله أي ألفية أخرى، أو أي
كتاب نحوي آخر، فقد بلغت شروحا وشروح شروحا والذيل والحواشي عليها
العشرات، كما ترجمت إلى الفرنسية والإيطالية وطبعت طبعت يصعب
إحصاؤها.³

3.2. المطلب الثالث: ترجمة الأشموني:

هو علي بن محمد بن عيسى بن محمد الأشموني الأصل ثم القاهري
الشافعي نور الدين أبو الحسن. فقيه، أصولي، مقرئ، نحوي، متكلم، ناظم. من
تصانيفه: شرح ألفية ابن مالك، ونظم منهاج الدين للحلي في شعب الإيمان،
ونظم جمع الجوامع في الأصول، والينبوع في شرح المجموع في فروع الفقه، ونظم
إيساغوجي في المنطق، وتعليقة على الأنوار لعمل الأبرار للأردبيلي في فروع الفقه
الشافعي.

فالعصر الذي عاش فيه هو الثلث الأول من القرن التاسع الهجري، ونهايته
في الفترة ما بين ميلاد عام 838 إلى وفاته عام 955. وفي هذه الفترة كانت دولة

³ - نفس المصدر ص : 10/1

المماليك تحكم مصر والشام ، والمؤلف هاش في فترة المماليك ، كانت فترة منازعات بين طوائف المماليك مما كان ينجم عن تلك المنازعات من حوادث ، وقتال في الشوارع مما أوجد جوا من القلق وعدم الاستقرار.⁴

علماء الاجتماع متفقون على أن المقصود بالحياة الاجتماعية جميع نواحي النشاط الإنساني ، والاقتصادي أو اللعب واللهو يصف المقريزي حالة المجتمع المصري في عصر المماليك ، وفي مصر خاصة حيث عاش الأشْموني تقلص فيه ظل العدل وسفرت أوجه الفجور وذهب الحيا والحشمة من الناس . وكان المجتمع مكونا من أعراف عديدة منهم : العرب هم الأكثرية ، الأتراك ، والأكراد واليهود والنصارى والأقباط والأفارقة السود .

هذا ولم يمنع الاضطراب السياسي الذي ساد مصر في عهد المماليك من نشوء نهضة علمية ، فقد امتزج الفساد والقسوة والوحشية بالترقي في الحضارة المادية والتقدم المعماري والفني والعلمي . ويعود الفضل في ذلك إلى العلماء والمسلمين الذين تحملوا المسؤولية رغم المناخ السياسي الردي وهناك عوامل أدت إلى نشأة الحركة العلمية آنذاك ، فهي عوامل داخلية وخارجية.⁵

كذلك وفود العلماء إلى مصر ومهم ابن مالك الأندلسي فالعوامل الداخلية منها : غيرة السلاطين والأمراء فقد أدت هذه إلى محاربتهم للتتار وطردهم عن مصر أيضا تعظيمهم لأهل العلم . كذلك شعور العلماء بواجبهم وكان لهذا الثر الكبير في إحياء العلوم⁶ وهناك عوامل أخرى لم يتطرق الباحث لذكرها .

⁴ - جمال الدين أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب - وزارة الثقافة والرشاد - مصر - د - ط - 1395 م - 1956 ج 329/7 .

⁵ - شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة ، - بيروت - لبنان ذ 1 1922 م ص 262-263

⁶ - عبد الوهاب حمودة ، صفحات في تاريخ مصر ، ، القاهرة - الدار المصرية (د - ط) 1965 / ص :

أما آثاره التي تنسب إليه والتي قيل إنها له فلا يزال أكثرها محفوظا لم تنشر حتى الآن ، فذهب أصحاب التراجم إلى أنه ألف :

منهج السالك إلى ألفية ابن مالك المعروف بشرح الأشموني .
لمع اللوامع .

الينبوع في شرح المجموع ، وهو شرح كتاب المجموع في فروع الشافعية .
نظم منهاج الدين للشيخ الإمام أبي عبد الله حسن بن الحسن الحلبي
الجرجاني المتوفى 403 هـ وغيرها ⁷.

اختلف في وفاته ، فقول نحو سنة 900هـ ، وقيل: سنة 918هـ ، وقيل: سنة 929هـ ، وقيل غير ذلك. نجد أن التصرف لنواحي الحياة التي عاش فيها علي بن عيسى نور الدين الأشموني له أثر كبير على معرفة شخصيته ، وسلوكه ، وأخلاقه ، فالإنسان ابن عصره ولید بيئته ، وينفعل مع كل ما يدور على أرض وطنه ، ولذا فالحديث عن الجوانب الفكرية والسياسية لعصر المؤلف لها أهمية كبيرة عن شخصيته

4.2.المطلب الرابع: التعريف بمنهج السالك، إلى ألفية ابن مالك

جاء في المقدمة من الكتاب العبارة التالية: "فهذا شرح بديع على ألفية ابن مالك، وقد لقّبه بـ: "منهج السالك إلى ألفية ابن مالك".⁸ وكذا ذكر اسمه عند بعض المؤلفين الذين تعرضوا لشخصية الأشموني⁹ واشتهر الكتاب بـ "شرح الأشموني" إشارة إلى العمل وصاحبه، فنسبته إلى

7- نفس المصدر 262/1-263 .

⁸ - الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م ج 5، ص: 10.

⁹ - عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي ، معجم المؤلفين ، كتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت عدد الأجزاء: 13 ج2، ص: 521 .

الأشْمُونِيّ صحيحة لا يعتريها شك؛ صرح بذلك من نسخ الشرح في بداية الكتاب، ومن ترجم الأشْمُونِيّ¹⁰.

أهمية الكتاب ومنزلته بين الشروح :
يعتبر شرح الأشْمُونِيّ من الشورحات التعليمية المطولة، وقد وصفه عبد الوهاب الشعراوي (ت 973هـ) بـ"الشرح العظيم". فهو عملٌ جليل، توسع فيه صاحبه، وساق تعليقاته، وأظهر علم المنطق فيه، وأبدع وأمتع في تنبيهاته، وناقش آراء من سبقه، فأيد ونقض، وكان خلاصة الشروح السابقة؛ استوعب خصائصها، وضمن أفكارها.¹¹

وظهرت جودة شرح الأشْمُونِيّ من خلال قدرته على جمع المصادر المتنوعة المتعددة، وصهرها في وعاء واحد، ثم إعادة تشكيّلها في بناء جديد متقن بديع. وهذا لعمرى عملٌ لا يستطيعه إلا من تهياً له عقلٌ فذٌّ، وحافظةٌ قوية حاضرة، وعلم واسع ، وحكمةٌ تعينه على تمييز الصواب من الخطأ، وبصيرةٌ تقيه الزلل والخلل.

وضم شرح الأشْمُونِيّ ثروةً نحوية ولغوية من أقوال النحاة المتقدمين والمتأخرين، وكان له فضلٌ في حفظ بعض نصوص كتب قيمة نادرة أو مفقودة ، من مثل كتاب الأوسط للأخفش ، واليواقيت لأبي عمر المطرزي، والتذكرة للفارسي ، والغرة لابن الدهان ، والبسيط لابن الحاج ، وغيرها.

¹⁰ - محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني البدر الطالع ، دار المعرفة - بيروت عدد الأجزاء: 2 ج1، ص:491.

¹¹ - الأشْمُونِي ، مقدمة منهج السالك ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419هـ- 1998م عدد الأجزاء: 4ص:3.

ومما يغني الكتاب ويمكّنه أن يعد مصدراً من مصادر هذا العلم المذاهب النحوية المبنوثة فيه، والشواهد الشعرية التي استشهد بها صاحبه، والمسائل التي أثارها، وذكر اختلاف العلماء فيها¹²

3. المبحث الثاني : تعريف الشاهد النحوي وأهميته

1.3: المطلب الأول: تعريف الشاهد لغة :

لقد أسهمت المعاجم في تعريف الشاهد من حيث اللغة ، في الملاحظ ارتباط المعنى اللغوي والاصطلاحي ، وأثر ذلك في إجلاء المعنى وتطوره .

وجاء في كتاب العين¹³ : الشاهد هو النبي صلى الله عليه وسلم ، وفي تفسيره قويه عز وجل " وشاهد ومشهود "¹⁴

وهو يوم القيامة ، وتعنى أيضا كلمة الحاضر بخلاف الغائب ، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم : ليبلى الشاهد الغائب أي يبلغ الحاضر الغائب¹⁵

وقال ابن فارس : " شهد " الشين والهاء والdal / أصل يدل على حضور وإعلام لا يخرج شيء من فروعه على الذي ذكرناه والشاهد اللسان ، الشاهد الملك ، وقد جعلها الأعشى :

فلا تحسبني كافرا لك بنعمة علي شهيد يا شاهد الله فأشهد
أما صاحب المعجم المحيط فقد توسع في إيراد مدلول الشاهد ، فأوضح مدلوله في الفقهاء وعند المحدثين ، وأهل المناظرة وأهل اللغة والصوفية قائلا :
والشاهد عند الفقهاء

¹² - الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م ج 5، ص: 10.

¹³ - الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق مهدي الخزومي لسمارتي ، ومادة شهد 3/ 233.

¹⁴ - البروج ، الآية : 3 .

¹⁵ - أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، مُختَصَر صَحِيحُ إِمَامِ البُخَارِي ، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض الطبعة: الأولى، 1422 هـ عدد الأجزاء: 4 ، 57/1 .

ابْنُ سَيِّدَةٍ: الشَّاهِدُ الْعَالِمُ الَّذِي يُبَيِّنُ مَا عَلِمَهُ، شَهِدَ شَهَادَةً؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى: شَهَادَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ؛ أَيِ الشَّهَادَةِ
بَيْنَكُمْ شَهَادَةُ اثْنَيْنِ فَحَذَفَ الْمُضَافَ وَأَقَامَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ مَقَامَهُ.¹⁶

وَالشَّهِيدُ: الشَّاهِدُ، وَالْجَمْعُ الشُّهُدَاءُ. وَأَشْهَدْتُهُ عَلَى كَذَا فَشَهِدَ عَلَيْهِ أَيِ صَارَ
شَاهِدًا عَلَيْهِ. وَأَشْهَدْتُ الرَّجُلَ عَلَى إِقْرَارِ الْغَرِيمِ وَاسْتَشْهَدْتُهُ بِمَعْنَى؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ
تَعَالَى: وَاسْتَشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ؛ أَيِ أَشْهَدُوا شَاهِدَيْنِ. يُقَالُ لِلشَّاهِدِ:
شَهِيدٌ وَيُجْمَعُ شُهَدَاءُ. وَأَشْهَدَنِي إِمْلَاكَه: أَحْضَرَنِي. وَاسْتَشْهَدْتُ فُلَانًا عَلَى فُلَانٍ إِذَا
سَأَلْتَهُ إِقَامَةَ شَهَادَةٍ احْتَمَلَهَا. وَفِي الْحَدِيثِ:

خَيْرُ الشُّهُدَاءِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلَ¹⁷

2.3 المطلب الثاني تعريف الشاهد في الاصطلاح :

إن الشواهد النحوية هي الأساس الذي يقوم عليه النحو العربي وأصوله،
ويستوي فيها الشاذ لقليل والكثير، وذلك تبعاً لأوجه الخلاف في مسائل النحو
وقضاياها بين المدارس المختلفة. فما هو الشاهد النحوي؟

مما لا شك فيه أن الشواهد النحوية تؤلف جانباً مهماً من النحو ، حيث
إنها موضع استنباط القاعدة النحوية ، فالشاهد النحوي يعد حجة النحوي في
إثبات القاعدة النحوية وتقريرها ، كما استخدم الفقهاء والقضاة وغيرهم
الشاهد، ومعنى انتقض شيء يعرف عندهم كذلك تناوله النحاة واللغويون
باهتمام وعناية ، فقد ارتبط بالقاعدة النحوية وارتبط هو بالنحو ، وأصبح علامة
ودليلاً على صدق القاعدة النحوية وصحتها ، لذلك جاءت كتب القدامى
والمحدثين حافلة به فهي غزيرة ووافرة ومتنوعة ، يذكر التهانوي : أن الشاهد عند

¹⁶ - محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منطور الأنصاري الرويعي الإفريقي ،

لسان العرب ، دارصادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ عدد الأجزاء: 15 ، 3/ 239.

¹⁷ - نفس المصدر : 240/3.

أهل اللغة العربية (الجزئي) الذي يستشهد به في إثبات القاعدة ، لكون ذلك الجزئي من التنزيل ، أو من كلام العرب الموثوق بعربهم وهو أخص من المثال.¹⁸ بمعنى هو الخبر القاطع الموثق، يستعمله اللغوي أو النحوي أو المفسر مرويا عن الناطق باللغة موضوع الدراسة ويكون في العربية أية قرآنية أو بيت شعر أو حديثا نبويا. وهو، أي الشاهد، قول عربي لقائل موثوق بعربيته يورد للاحتجاج والاستدلال به على قول أو رأي. وهو بذلك يختلف عن المثال الذي يأتي كدليل على القاعدة. أما المثال فهو "ما ستدل به على القاعدة النحوية من جملة أو تركيب أو كلمة: فقولهم مثلا: أعجبنى زيد علمه أو حسنه أو كلامه مثال لبدل الاشتمال"¹⁹

فالشواهد إنما سيقّت في الأصل لإثبات صحة القاعدة. وأما الأمثلة فيصوغها المصنف ليوضح بها القاعدة، وتعد بمثابة الجانب التطبيقي الإيضاحي للقاعدة، وليست دليلا على صحتها"²⁰

ومن المفيد أن نشير إلى أن المثال يعتبر تمهيدا لتوضيح قاعدة ما، وأن الشاهد تأصيلي وتوكيدي. ثم إن الشاهد النحوي الذي ما زال معتمدا في معظم دراساتنا ومناهجنا الدراسية ينتهي في معظمه إلى العصور التي يحتج بكلام العرب فيها، والتي حددها كثير من القدماء، وبخاصة البصريين منهم، بالقرن الثاني الهجري بالنسبة للحضر، والقرن الرابع بالنسبة للبدو. واعتمد ذلك مجمع اللغة بالقاهرة.

¹⁸ - التهانوي ، كتاب اصطلاحات الفنون ، شركة خياط ، دار الكتب والنشر ، بيروت لبنان ، بدون طبعة ، 738/3.

¹⁹ - محمد سمير اللبدي. معجم المصطلحات النحوية والصرفية. بدون طبعة ، ص 119.

²⁰ - محمد إبراهيم عبادة. النحو التعليمي في التراث العربي. بدون طبعة ص 90-98.

والشواهد النحوية هي الأساس الذي يقوم عليه النحو العربي وأصوله، ويستوي فيها الشاذ القليل والكثير، وذلك تبعا لأوجه الخلاف في مسائل النحو وقضاياها بين المدارس المختلفة.

4. المبحث الثالث : مصادر الشاهد النحوي عند الأشموني

1.4.1 المطلب الأول: القرآن الكريم

يعتبر القرآن الكريم أفصح الكلام العربي وأبينه على الإطلاق، وهو بذلك يعد في مقدمة أنواع الشواهد النحوية واللغوية العربية، وهو الذي تطمئن إليه النفوس والأخذ به في مجال الدرس النحوي على أساس أنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد اختلف النحاة في موضوع الاستشهاد ببيات القرآن الكريم وقراءاته، فالكوفيون مثلا يعتمدونه بشكل مطلق ويقدمونه على غيره من كلام العرب شعره ونثره، جاهليه، وإسلاميه. يقول الفراء: "إتباع المصحف إذا وجدت له وجها من كلام العرب وقراءة القراء أحب إلى من خلافه"²¹ ويقول أيضا: "إن لغة القرآن الكريم أفصح أساليب العربية على الإطلاق: وإن الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر"²²

وأما البصريون، الذين ولدت وتقررت في موطنهم الدراسات اللغوية عموما، فإنهم يتحفظون قليلا في الأخذ بالقرآن الكريم، وبخاصة في اعتماد القراءات التي طعنوا في بعضها، وأخضعوها لقواعد أقيستهم، فما وافق ذلك اعتمدوه وأخذوا به، وما خالفه طعنوا فيه ورفضوه، واعتبروه شاذا لا يقاس عليه. وقد عمدوا إلى تأويل ما لم يتوافق مع قواعدهم. وهم بذلك يقدمون القياس والقاعدة على نص القرآن الكريم.

²¹ - أبو زكريا يحيى الفراء. معاني القرآن، ج 1، ص 14.

²² - المرجع السابق.

نلاحظ على البصريين أنهم في بعض استشاداتهم قد أخذوا بالأشعار المجهولة وقدموها على قراءة مشهورة. من ذلك أن المبرد ردد قراءة حمزة في قوله تعالى: "اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ"²³ حيث عطف على الضمير المخفوض دون إعادة الخافض الذي هو الباء فقال: "لا تحل القراءة بها"²⁴

وقد قرأ بها ابن مسعود وابن عباس وقتادة. هذا لا يعني أن المبرد لم يستشهد بالقرآن الكريم كله، بل استدل بنحو 500 شاهد قرآني، وكذلك فعل سيبويه من قبله. ويمكن تفسير بعض تصرفات البصريين بأن توجههم العام كان رفع مكانة القرآن الكريم والبعد به عن الجدل وأسبابه واحتراما له وتقديسا.

وكما استدل الأشموني بالقرآن الكريم في كتابه بقوله: أما ما افتقر إلى مفرد كسبحان، أو إلى جملة لكن افتقاراً غير مؤصل أي غير لازم كافتقار المضاف في نحو: {هَذَا يَوْمٌ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ} [المائدة: 119] إلى الجملة بعده فلا يبني لأن افتقار يوم إلى الجملة بعده ليس لذاته وإنما هو لعارض كونه مضافاً إليها، والمضاف من حيث هو مضاف مفتقر إلى المضاف إليه، ألا ترى أن يوماً في غير هذا التركيب لا يفتقر إليها نحو هذا يوم مبارك²⁵

ومما استدل به أيضا في كتابه حيث قال: وإنما بنيت أي الموصولة وهي مضاف لفظاً إذا كان مصدر صلتها ضميراً محذوفاً نحو: {ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ} [مريم: 69] قرئ بضم أي بناء، وبنصبها لأنها لما حذفت صدر صلتها نزل ما هي مضافة إليه منزلته فصارت كأنها منقطعة عن الإضافة لفظاً ونية مع قيام موجب البناء، فمن لاحظ ذلك بنى ومن لاحظ الحقيقة أعرب.²⁶

²³ - سورة النساء؛ الآية 1.

²⁴ - شرح المفصل. ابن يعيش المجلد 3 ص 78.

²⁵ - أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م عدد الأجزاء: 3، 82/1.

²⁶ - نفس المصدر ص : 83/1

وأشار إلى الآيات القرآنية بقوله في شرحه للألفية : إلا أن اعتبار اللفظ أكثر، وبه جاء القرآن قال تعالى: {كَلِمَاتُ الْجَنَّتَيْنِ أَتَتْ أَكْثَرَهَا} [الكهف: 33] ولم يقل: أتتا فلما كان لكلا وكلتا حظ من الأفراد وحظ من التثنية أجريا في إعرابهما مجرى المفرد تارة ومجرى المثنى تارة، وخص إعرابهما مجرى المثنى بحالة الإضافة إلى المضمر لأن الإعراب بالحروف فرع الإعراب بالحركات.²⁷

وقال في موضع آخر: ونون" التوكيد: ثقيلة كانت أو خفيفة، نحو "أَقْبَلَنَّ" ونحو: {لَنَسْفَعًا} وقد اجتمعتا حكاية في قوله: {لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنَّ}²⁸ ومما استدل بالآيات القرآنية في تعدد الخبر بقوله : وَأَخْبَرُوا بِأَثْنَيْنِ أَوْ بِأَكْثَرٍ عَنْ" مبتدأ "وَاحِدٍ"؛ لأن الخبر حكم، ويجوز أن يحكم على الشيء الواحد بحكمين فأكثر.

ثم تعدد الخبر على ضربين:

الأول: تعدد في اللفظ والمعنى "كَهُمْ سَرَاةٌ شُعْرًا"، ونحو: {وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ، ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ، فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ}²⁹

2.4.2. المطلب الثاني: الحديث النبوي الشريف.

يهتم النحاة من حديث النبي صلى الله عليه وسلم ما كان قولاً، لأن القول والاستشهاد به هو موضوع النحو ومرجع الأحكام والاستدلال به. واختلف أهل اللغة والنحو حول الشاهد من الحديث النبوي، بين مجيز ومنكر، فمن المجيزين جمهرة من الكوفيين وكثير من أهل المذهب المغاربي الأندلسي كابن خروف وابن مالك وغيرهما. ومن المنكرين، ابن الضائع وأبو حيان الأندلس وكذلك السيوطي.

²⁷ - نفس المصدر ص: 117/1

²⁸ - علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشْمُونِي الشافعي، شرح الأشْمُونِي على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419هـ- 1998م عدد الأجزاء: 4، 36/1.

²⁹ - علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشْمُونِي الشافعي، شرح الأشْمُونِي على ألفية ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419هـ- 1998م عدد الأجزاء: 4، 36/1.

وهناك طرف وسط متحفظ يجيز من الحديث ما صح لفظه كما فعل أبو إسحاق الشاطبي، وبعض البصريين والكوفيين.

إذا أطلق لفظ الحديث الشريف في اصطلاح المحدثين أُريد به ما أضيف إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- من قول، أو فعل، أو تقرير، وقد يُراد به ما أضيف إلى صحابي أو تابعي. ولكن الغالب أن يقيد إذا ما أُريد به غير النبي -صلى الله عليه وسلم-.

أما الحديث الشريف عند النحاة: فهو قول الرسول الكريم -صلوات الله وسلامه عليه- وإنما يهتم النحويون بالقول؛ لأنه موضوع النحو، ومنبع استدلالهم، ومرجع أحكامهم، وكذلك الأقوال المنسوبة إلى الصحابة أو التابعين متى جاءت من طريق المحدثين تأخذ حكم الأقوال المرفوعة إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من جهة الاحتجاج بها في إثبات لفظ لغوي، أو قاعدة نحوية.³⁰

نلاحظ في موضوع الاستشهاد بالحديث أن المنكرين لاعتماده يتحججون بأن بعض أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم رويت بالمعنى. يقول أبو حيان: "إنما ذكر العلماء ذلك لعدم وثوقهم أن ذلك لفظ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ لو وثقوا بذلك لجرى مجرى القرآن الكريم في إثبات القواعد الكلية"³¹

غير أنه يمكن الرد على هذا بأن الحديث النبوي تم تدوين معظمه قبل نهاية عصر الاحتجاج كما هو معروف. ثم إنهم قد احتجوا بأن معظم رواة الحديث أعاجم، وكذلك فإن معظم علماء اللغة أعاجم: سيبويه والكسائي والفراء وغيرهم كثير، ثم إن كثيرين احتجوا بمرويات حماد الراوية وكان وضاعا ولحانة. بالرغم من ذلك، فإن كثيرا من علماء اللغة والنحو قد استشهدوا

³⁰ - المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية ، أصول النحو المرحلة: ماجستير ، الناشر: جامعة المدينة

العالمية عدد الأجزاء: 1 ، 75/1

³¹ - عبد القادر بن عمر البغدادي. خزانة الأدب. مكتبة الخانجي ، 1997 - 1418 . ج 1 ص 5.

بالحديث، من بينهم سيبويه والمبرد وابن الأنباري في إنصافه وحتى السيوطي الذي اعتمد أكثر من 155 حديثاً.

ومما استدل به الأشموني في كتابه : ولا يختص بالضرورة خلافاً لأبي علي، لقوله -صلى الله عليه وسلم: "لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك"³² فإن لم يدل على المقيد دليل وجوب ذكره، نحو: "لولا زيد سالمنا ما سلم" وجعل منه قوله عليه الصلّاة والسّلام: "لولا قومك حديثو عهد بكفر لبنييت الكعبة على قواعد إبراهيم"³³ وقال الله تعالى: {الْقَاهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا} ، وقال امرؤ القيس "من الطويل":

وَبَدَّلْتُ قَرْحاً دَامِيَا بَعْدَ صِحَّةٍ ... فَيَا لَكَ مِنْ نُغْمَى تَحَوَّلَنْ أَبُوسَا

ومما استدل بالحديث النبوي الشريف في كتابه بقوله وفي الحديث: "لرزقتم كما ترزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً".³⁴

3.4.المطلب الثالث: الشاهد من الشعر

تعتبر الشواهد الشعرية أكثر عدداً من غيرها، فالشعر "ديوان العرب وخزانه حكمها ومستنبط آدابها ومستودع علوم"³⁵، وبه "حفظت الأنساب

³² - أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م عدد الأجزاء: 3، 109/1

³³ - نفس المصدر 206/1.

³⁴ - أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م عدد الأجزاء: 3، 225/1

³⁵ - أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين. المحقق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: عيسى البابي الحلبي ، 1952 - 1371

وعرفت المآثر وتعلمت اللغة³⁶. والأشعار التي يحتج بها، جاهلية وإسلامية، فالأولى معتمده ومقدمة وغير محدودة بزمان. أما الثانية فقد اختلفوا في حدها الزمني تبعاً لاختلاف المكان.

ونظراً لهذا الاختلاف والتباين في الحد الزمني لكلام العرب الذي يجوز الاستشهاد به، فقد اتخذ مجمع اللغة العربية في القاهرة قراراً مفاده أن العرب الذين يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع الهجري. وسبب التدقيق في الحد الزمني هو ظاهرة اللحن وتضارب المذاهب والاختلافات السياسية والمذهبية.

ونقل السيوطي عن الشيخ عز الدين بن عبد السلام، الملقب بسلطان العلماء المتوفى سنة ستين وستمائة من الهجرة قوله: "اعتمد في العربية على أشعار العرب، وهم كفار لبعده التدليس فيها"

ونلاحظ أن العز بن عبد السلام قد قيّد الاحتجاج بالشعر، وكان الأولى أن يقول: اعتمد في العربية على كلام العرب؛ لأن الشعر العربي ونثرهم في ذلك سواء، وقد اعتذر عنه بعض شراح (الاقتراح) بأمرين:

الأول: أنه اقتصر على الشعر لأن الشعر هو الأغلب في كلام العرب.
والآخر: أنه إذا كان يُحتجُّ بالشعر، مع كون الشعر محلّ الضرائر والضيق؛ فالاحتجاج بالنثر من باب أولى وأحرى، وإنما جاز الاحتجاج بكلام الكفار من العرب؛ لأن اللغة العربية عندهم سليقة طبعوا عليها، وهذا هو مراد الشيخ العز بن عبد السلام في قوله: "لبعده التدليس فيها".

³⁶ - أحمد بن فارس بن زكريا الرازي أبو الحسين. الصحابي في فقه اللغة العربية، المحقق: أحمد حسن

بسج ، دار الكتب العلمية ، 1997 - 1418

ص 23.

ثم ذكر السيوطي أن العدالة شرط في الراوي، وليست شرطاً فيمن يُحتجّ بكلامه من العرب، فقال: "فعلم أن العربي الذي يُحتج بقوله لا يشترط فيه العدالة، نعم تشرط -أي: العدالة- في راوي ذلك" انتهى.

فهناك إذًا فرق بين قائل الكلام وراوي الكلام من حيث اشتراط العدالة، وعدم اشتراطها. أما قائل الكلام فلا تُشرط العدالة فيه لماذا؟ لأنه ينطق على سجيته، وقد احتجوا بكلام الصبيان والمجانين، وأثبتوا به القواعد والكلمات. وأما الراوي فإن العدالة شرط فيه؛ لأنه ناقل كلام غيره، والعدالة أصل في قبول الأخبار. ولما كانت العدالة أصلاً في قبول الأخبار؛ لم يُقبل من الأخبار من انقطع سنده، وهو المرسل، وما لا يُعرف قائله وهو المجهول؛ لأن انقطاع السند والجهل بالناقل يوجبان الجهل بالعدالة.³⁷

ومما استدل به بالشاهد الشعري : من القصير قوله:
إن أباه وأبا أباه ... قد بلغا في المجد غايتها³⁸ ، وقد تثبت الميم مع الإضافة كقوله:

يصبح ظمآن وفي البحر فمه³⁹ وبعضهم يعربهما إعراب المقصور مطلقاً
ومنه قوله:

نعم الفتى عمدت إليه مطيتي ... في حين جددنا المسير كلانا

³⁷ - عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الاقتراح في أصول النحو وجدله ، حققه وشرحه: د. محمود فجال، وسعى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح) الناشر: دار القلم، دمشق الطبعة: الأولى، 1409 - 1989 م عدد الأجزاء: 1 ، 68/1 .

³⁸ - أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ، حاشية الصبان على شرح الأشْمُونِي لألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م عدد الأجزاء: 3، 106/1

³⁹ - نفس المصدر ص: 109/1

تنبيه: كلا وكلتا اسمان ملازمان للإضافة ولفظهما مفرد ومعناهما مثنى، ولذلك أجز في ضميرهما اعتبار المعنى فيثنى واعتبار اللفظ فيفرد، وقد اجتمعا في قوله:

كلاهما حين جد الجري بينهما ... قد أقلعا وكلا أنفيهما رابي⁴⁰

وأما لحاقها اسم الفاعل في قوله "من الرجز":

أَشَاهِرُنَّ بَعْدَنَا السُّيُوفَا

وقوله "من الرجز":

أَقَائِلُنَّ أَخْضِرُوا الشُّهُودَا⁴¹

أراد "بنات أوبر"؛ لأنه علم على ضرب من الكمأة رديء، كما نص عليه سيبويه، وزعم المبرد أن "بنات أوبر" ليس بعلم، فـ"أل" عنده غير زائدة، بل معرفة و"كذا" من الاضطراري زيادتها في التمييز، نحو: "وَطِبَّتَ النَّفْسُ يَا قَيْسُ السَّرِي" في قوله "من الطويل":

رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتُ وَجُوهَنَا ... صَدَدَتْ وَطِبَّتَ النَّفْسُ يَا قَيْسُ عَنْ عَمْرٍو

أراد "طبت نفسا"؛ لأن التمييز واجب التنكير، خلافا للكوفيين.⁴²

وَأَوَّلُ" أي: من الجزأين "مُبْتَدَأُ وَالثَّانِي" منهما "فَاعِلٌ اغْنَى" عن الخبر "في"

نحو: "أسارِذان" الرجلان، ومنه قوله "من البسيط":

أَقَاطِنُ قَوْمٍ سَلَمَى أَمْ نَوُوا ظَعْنَا ... "إِنْ يَظْعَنُوا فَعَجِيبَ عَيْشٍ مِنْ قَطْنَا"

وقوله "من البسيط":

أَمْجِرْ أَنْتُمْ وَعِدَا وَنَقْتُ بِهِ ... أَمْ اقْتَفَيْتُمْ جَمِيعَا نَهْجِ عَرْقُوبِ⁴³

⁴⁰ - أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م عدد الأجزاء: 3 ، 1/116.

⁴¹ - علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419هـ -1998م عدد الأجزاء: 4 ، 1/36.

⁴² - نفس المصدر 1/170

ومما استدل به بالشاهد الشعري في باب المبتدأ والخبر بقوله : وَقَدْ يَجُوزُ"
الابتداء بالوصف المذكور من غير اعتماد على نفي أو استفهام "نَحْوَ فَائِزٍ أَوَّلُ
الرَّشْدِ" وهو قليل جداً، خلافاً للأخفش والكوفيين، ولا حجة في قوله "من الطويل":
خَبِيرٌ بَنُو لَهُبٍ فَلَا تَكُ مُلْغِيَا ... مَقَالَةً لِيَّ إِذَا الطَيْرُ مَرَّتْ⁴⁴
وإن دل عليه دليل جاز إثباته وحذفه، نحو: "لولا أنصار زيد حموه ما
سلم"، وجعل منه قول المعري "من الوافر":

يُذِيبُ الرُّعْبُ مِنْهُ كُلَّ عَضْبٍ ... فَلَوْلَا الْغِمْدُ يُمَسِّكُهُ لَسَالَا
واعلم أن ما ذكره الناظم هو مذهب الرماني، وابن الشجري، والشلوبين،
وذهب الجمهور إلى أن الخبر بعد "لولا" واجب الحذف مطلقاً، بناءً على أنه لا
يكون إلا كونا مطلقاً⁴⁵
وقوله "من الرجز":

مَنْ يَكُ ذَا بَتٍ فَهَذَا بَيٍّ ... مُقَيِّظٌ مُصَيِّفٌ مُشَيٍّ⁴⁶

4.4. المطلب الرابع: القراءات القرآنية.

فإن كلام العرب هو المصدر الثالث من مصادر السماع بعد القرآن الكريم
والحديث الشريف عند من أجاز الاحتجاج به، وكلام العرب الذي يُحتج به هو كل
نظم أو نثر ثبت عن الفصحاء الموثوق بعريتهم قبل أن تفسد الألسنة؛ فليس كل
كلام عربي يصحُّ الاحتجاج به، وإنما وضع العلماء ضوابط مكانية وزمانية لما يجوز
الاحتجاج به من كلام العربي، وما لا يجوز؛ فقد نقل السيوطي عن أبي نصر

⁴³ - نفس المصدر 1/178.

⁴⁴ - علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشْمُونِي الشافعي، شرح الأشْمُونِي على ألفية
ابن مالك، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419هـ- 1998م عدد الأجزاء: 4، 1/81.

⁴⁵ - نفس المصدر 1/106.

⁴⁶ - نفس المصدر 1/213.

الفارابي المتوفى سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة أن قبائل العرب تنقسم من حيث الاحتجاج بكلامها، وعدم الاحتجاج قسمين:

الأول القبائل التي لم يؤخذ عنها ولم يُحتجّ بكلامها، وهي: لخم وجذام؛ لمجاورتهم أهل مصر والقط، وقضاة وغسان وإياد؛ فإنهم كانوا مجاورين لأهل الشام، أي: حيث يسكن الروم، فاختلطت ألسنتهم، وأكثرهم نصارى يقرءون في صلاتهم بغير العربية، وتغلب والنمر؛ فإنهم كانوا مجاورين لليونانية، وبكر؛ لأنهم كانوا مجاورين للنبط والفرس، وعبد القيس؛ لأنهم كانوا سكان البحرين مخالطين للهند والفرس، وأزد عمان؛ لأنهم كانوا أيضاً مجاورين للهند والفرس، واليمن لمخالطتهم للهند والحبشة، وبنو حنيفة، وسكان اليمامة، وثقيف والطائف؛ لمخالطتهم تجار الأمم المقيمين عندهم، وحاضرة الحجاز؛ لأن الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتداءوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم، وفسدت ألسنتهم. فهذه القبائل لا يجوز الاحتجاج بكلامها لأنها قبائل لم تتوغل في البداوة، بل كانت تسكن أطراف البلاد المجاورة لغير العرب؛ فلم تسلم لغاتها من التأثير بغير العربية، إذ دخل هذه اللغات ما يؤثر في فصاحتها لفظاً بمخالفة القياس وتركيباً بوقوع اللحن⁴⁷

إِعْمَالٌ لَيْسَ أَعْمِلْتُ مَا" النافية، نحو: {مَا هَذَا بَشَرًا} ، {مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ} 2، وهذه لغة الحجازيين، وأهمليها بنو تميم، وهو القياس؛ لعدم اختصاصهم بالأسماء، ولإعمالها عند الحجازيين شروط أشار إليها بقوله: "دُونَ إِنْ مَعَ بَقَا النَّفْيِ وَتَرْتِيبٍ رُكْنٌ"⁴⁸،

⁴⁷ - المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية ، أصول النحو المرحلة: ماجستير ، الناشر: جامعة المدينة العالمية عدد الأجزاء: 1 ، 83/1

⁴⁸ - علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419هـ- 1998م عدد الأجزاء: 4 ، 251/1.

5.4. المطلب الخامس: أمثال العرب.

لقد اعتنى القدماء بجمع الأمثال، مع وجود العديد منها في كتب اللغة والأدب، وما كان يرويه الرواة أو النحاة لتدعيم آرائهم اللغوية، حيث كان الغرض منها تأكيد "صحة اللغة وإقامة الإعراب، وهذا يستلزم ضرورة أن يكون المثل قديم العهد صحيح النقل". ولا شك أن الرواة لم يكونوا يهتمون بالأمثال السائرة والمتداولة عند العامة لأن الهاجس اللغوي وسلامة اللغة كانت تتحكم في تحديد معيار المثل و"لم يأخذوه من أفواه العرب في حياتهم اليومية وحديثهم العادي بقدر ما أخذوه من نصوص الأشعار العربية القديمة التي بذلوا الجهد في روايتها وتدوينها"، ومع هذا التأكيد هناك العديد من الأمثال تخرج عن هذا السياق وإن احتفظت بتركيب لغوي سليم وفصيح، ونجدها في أغلب المؤلفات القديمة، ويكفي أن نعود إلى مقدمة أبي هلال العسكري لنستشف من خلالها أن عملية الجمع بالنسبة للمؤلفات التي وقف عليها وأخذ منها، كانت تمتد إلى كل ما يمت إلى المثل بصلة بغض النظر عن طبيعته اللغوية، إذ يقول: "وميزت ما أورده من الأمثال المضروبة في التناهي والمبالغة، وهي الأمثال على أفعل من كذا، فأورد منها ما كان منها عربياً صحيحاً، وقد أشار الأشموني رحمه الله تعالى في شرحه للألفية بالأمثال حيث قال :

وفي المثل: مكره أخاك لا بطل.⁴⁹ فإعراب أخاك بالضمّة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر، ولطلك أتى بالمثل هنا .

واستدل أيضاً فيما يجوز ا لابتداء بالنكرة بقوله : فِعْلٌ يَنْجَلِي " مبتدأ وخبر، وسوغ الابتداء بفعل قصد الجنس، مثل قولهم: "تمرّة خير من جرادة"⁵⁰

⁴⁹ - أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م عدد الأجزاء: 3، 106/1

⁵⁰ - علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419هـ -1998م عدد الأجزاء: 4 ، 37/1

فالاسم يشمل الصريح، والمؤول نحو: {وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ} ، "وتسمع بالمعيدي خير من أن تراه"⁵¹

وكذا يجب حذف الخبر الواقع "بَعْدَ" مدخول "وَإِ عَيَّنْتَ مَفْهُومَ مَع" وهي الواو المسماة بواو المصاحبة "كَمِثْلٍ" قولك: "كُلُّ صَانِعٍ وَمَا صَنَعَ" ، و"كل رجل وضيعته" تقديره مقرونان، إلا أنه لا يذكر؛ للعلم به، وسد العطف مسده ، فإن لم تكن الواو للمصاحبة نصاً كما في نحو: "زيد وعمر ومجتمعان" لم يجب الحذف، قال الشاعر "من الطويل":

تَمَنَّوْا لِي الْمَوْتَ الَّذِي يَشْعَبُ الْفَقَى ... وَكُلُّ امْرِئٍ وَالْمَوْتُ يَلْتَقِيَانِ⁵² ، زعم مطية الكذب أي: هذه اللفظة مركب الكذب.⁵³

وحكى سيبويه عن بعضهم: "ما جاءت حاجتك"، بالنصب والرفع، بمعنى: ما صارت؛ فالنصب على أن "ما" استفهامية مبتدأ، وفي "جاءت" ضمير يعود إلى "ما"، وأدخل التانيث على "ما" لأنها هي الحاجة، وذلك الضمير هو اسم "جاءت"، و"حاجتك": خبر، والتقدير: أية حاجة صارت حاجتك، وعلى الرفع "حاجتك" اسم جاءت، و"ما" خبرها⁵⁴

⁵¹ - نفس المصدر 177/1

⁵² - علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419 هـ- 1998 م عدد الأجزاء: 4 ، 107/1

⁵³ - نفس المصدر 355/1

⁵⁴ - أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى 1417 هـ- 1997 م عدد الأجزاء: 3 ، 225/1

5. خاتمة:

نخلص إلى ما يلي :

أن ألفية ابن مالك نالت من الشهرة ما لم تنله أي ألفية أخرى، أو أي كتاب نحوي آخر، فقد بلغت شروحا وشروحا والذبول والحواشي عليها العشرات .

وأن شرح الأشموني ضم ثروة نحوية ولغوية من أقوال النحاة المتقدمين والمتأخرين، وكان له فضلٌ في حفظ بعض نصوص كتب قيمة نادرة أو مفقودة ، من مثل كتاب الأوسط للأخفش ، واليواقيت لأبي عمر المطرز، والتذكرة للفارسي ، والغرة لابن الدهان ، والبسيط لابن الحاج ، وغيرها.

وأن الشواهد النحوية تؤلف جانبا مهما من النحو ، حيث إنها موضع استنباط القاعدة النحوية ، فالشاهد النحوي يعد حجة النحوي في إثبات القاعدة النحوية وتقريرها.

وأن المثال يعتبر تمهيدا لتوضيح قاعدة ما، وأن الشاهد تأصيلي وتوكيدي. ثم إن الشاهد النحوي الذي ما زال معتمدا في معظم دراساتنا ومناهجنا الدراسية ينتمي في معظمه إلى العصور التي يحتج بكلام العرب فيها، والتي حددها كثير من القدماء، وبخاصة البصريين منهم.

وأن الأشموني في كتابه يقدم الشاهد القرآني على الحديث ، والحديث عن الشعر، والشعر عن كلام العرب وهكذا .

وأن لغة القرآن الكريم أفصح أساليب العربية على الإطلاق: وإن الكتاب أعرب وأقوى في الحجة من الشعر.

وأن القول والاستشهاد به هو موضوع النحو ومرجع الأحكام والاستدلال به. واختلف أهل اللغة والنحو حول الشاهد من الحديث النبوي، بين مجيز ومنكر.

وأن الشواهد الشعرية تعتبر أكثر عددا من غيرها، جاهلية، وإسلامية، وأن العرب الذين يوثق بعربيتهم ويستشهد بكلامهم هم عرب الأمصار إلى نهاية القرن الثاني الهجري، وأهل البدو من جزيرة العرب إلى آخر القرن الرابع الهجري. وجاز الاحتجاج بالقرآن في العربية، سواء كان متواترا، أو أحادا، أم شادا. وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية إذا لم تخالف قياسا معلوما، بل ولو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه.

6. قائمة المصادر والمراجع :

- ✓ القرآن الكريم برواية ورش
- ✓ أبو العرفان محمد بن علي الصبان الشافعي ، حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان الطبعة: الأولى 1417 هـ -1997م
- ✓ أبو زكريا يحيى الفراء. معاني القرآن..بدون طبعة
- ✓ أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني ، مُخْتَصَر صَحِيحُ الإِمَامِ البُخَارِيِّ ، مَكْتَبَةُ المَعَارِفِ للنَّشْرِ والتَّوْزِيعِ، الرياض الطبعة: الأولى، 1422 هـ
- ✓ أبو هلال العسكري. كتاب الصناعتين. المحقق: علي محمد البجاوي - محمد أبو الفضل إبراهيم ، الناشر: عيسى البابي الحلبي ، 1952 - 1371
- ✓ أحمد بن فارس بن زكريا الرازي أبو الحسين. الصاحبي في فقه اللغة العربية، المحقق: أحمد حسن بسج ، دار الكتب العلمية ، 1997 - 1418
- ✓ الأشموني ، مقدمة منهج السالك ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419هـ-1998م
- ✓ التهانوي ، كتاب اصطلاحات الفنون ، شركة خياط ، دار الكتب والنشر ، بيروت لبنان ، بدون طبعة ،
- ✓ جمال الدين أبو المحاسن ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتب - وزارة الثقافة والرشاد - مصر- د- ط- 1395 م- 1956
- ✓ الخليل بن أحمد الفراهيدي ، كتاب العين ، تحقيق مهدي المخزومي لسمارتي ، ومادة شهد 3
- ✓ الزركلي ، الأعلام ، دار العلم للملايين الطبعة: الخامسة عشر- أيار / مايو 2002 م
- ✓ سيدي صالح بن عبد الله الألغي ، الحقائق المكللة والدرة اللغوية الطبعة : 1414هـ - 1993 م
- ✓ السيوطي بغية الوعاة لمحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم حالة الفهرسة: غير مفهرس الناشر: عيسى البابي الحلبي
- ✓ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع ، دار مكتبة الحياة ، - بيروت- لبنان ذ 1 1922 م

- ✓ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الاقتراح في أصول النحو وجدله ، حققه وشرحه: د. محمود فجال، وسى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح) الناشر: دار القلم، دمشق الطبعة: الأولى، 1409 - 1989 م
- ✓ عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي ، الاقتراح في أصول النحو وجدله ، حققه وشرحه: د. محمود فجال، وسى شرحه (الإصباح في شرح الاقتراح) الناشر: دار القلم، دمشق الطبعة: الأولى، 1409 - 1989 م
- ✓ عبد القادر بن عمر البغدادي. خزانة الأدب. مكتبة الخانجي، 1418 - 1997
- ✓ عبد الوهاب حمودة ، صفحات في تاريخ مصر ، القاهرة - الدار المصرية (د - ط 1965)
- ✓ علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419هـ- 1998م
- ✓ علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الأشموني الشافعي ، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان الطبعة: الأولى 1419هـ- 1998م
- ✓ عمر بن رضا بن محمد راغب بن عبد الغني كحالة الدمشقي ، معجم المؤلفين ، كتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت
- ✓ محمد إبراهيم عبادة. النحو التعليقي في التراث العربي. بدون طبعة
- ✓ محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني البدر الطالع ، دار المعرفة - بيروت
- ✓ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي ، لسان العرب ، دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ
- ✓ محمد سمير اللبدي. معجم المصطلحات النحوية والصرفية. بدون طبعة ،
- ✓ المؤلف: مناهج جامعة المدينة العالمية ، أصول النحو المرحلة: ماجستير ، الناشر: جامعة المدينة العالمية عدد الأجزاء: 1 ، 75/1
- ✓ يعيش بن علي بن يعيش موفق الدين ، شرح المفصل للزمخشري . إدارة الطباعة المنيرية ، تاريخ إضافته: 15 / 10 / 2008